جولة

في الآثار السورية

في العهد المسيحي ، وفي اوائل العهد الاسلامي

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي

كانت سورية وفنيقية ، في كل عصر من عصور التاريخ ، فنّ خاص بهما استفادتا فيه غالباً من المدنيّات الزاهرة في البلدان المجاورة ؛ ولكنهما جعلتاه دائماً على قسط من الحياة ، حتى انه كان يؤثّر بدوره ويدفع الى تقليده . على انه لم يزدهر الفنّ السوري ، في عصر من العصور ، ازدهارَه في العصر المسيحي ، ولا نال من التأثير في الخارج ما ناله في هذا العصر . فمنذ القرون المسيحية الاولى نرى الفنّ ، على اختلاف انواعه من فنّ البناء ، الى الزخرفة ، الى الفسيفساء ، الى تزيين المخطوطات ، قد وصل في بلادنا الى مستوى عالٍ فرض على سكان الاناضول وارمينية وسواحل صقلية والادرياتيك ان يأخذوا به ويقلّدوه . وقد وُجد في جميع هذه البلدان ، تصميمات للابنية ، وطرق للعمار ، ومذاهب في الزخرف ، منقولة كلها من سورية . وبعد الفتح العربي ، عندما اوجبت عبادة الفاتحين رفع الابنية الجديدة ، اتجه اول الخلفاء الامويين ، مَن اشتهروا بالرغبة في اقامة الابنية الفخمة ، الى مهندسي سورية وفنّانيهم . وهكذا نرى التقاليد الفنية السورية في اصل الفن الاسلامي . واذاً فلا يخفى اية اهمية يجب ان نعلّق على كل مظهر من مظاهر الفنّ المحلي في سورية بين القرن الثالث والقرن الثامن للمسيح .

وعليه فقد رأينا ان نشير اولاً ، في هذه الجولة ، الى اهمّ الآثار الراقية

الى ذاك العصر والمتأثرة بمذهبه الفني ، آثار اكتُشفت او اعيد النظر في درسها ، منذ الحرب العامة . وقد خاض العلماء هذا الموضوع قبلنا ، في المؤتمر الدولي الثالث للآثار المسيحية المنعقد في رافينة من ٢٥ الى ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٢ . وها ان اعماله ظهرت مؤخرًا بالنشر ، وفيها دروس ثلاثة تتعلق بعلم الآثار القديمة في سورية :

١ً تقرير عام عن ذلك بقلم كاتب هذه الاسطر

٢ً كلمة بقلم السيد جان لاسوس ، عضو المعهد الفرنسوي في دمشق ، في البنايات المسيحية في سورية الشمالية

٣ً وصف بقلم كلارك هوپكنس للكنيسة المسيحية القديمة التي اكتشفتها في دورا – صالحية على الفرات البعثة الفرنسوية - الاميركية مديرة الحفريات في ذاك المكان[1] .

ويجب ان نضيف ، الى ما ذكرته هذه الابحاث الثلاثة من مصادر الدروس الاثرية ، اسماء ما ظهر ، بعد السنة ١٩٣٢ ، من المنشورات المهمة في الموضوع : منها كتاب الاب جرزف ماترن اليسوعي في وصف « مدن سورية الميتة »[2] ، ومنها التقارير التي تفيدنا من جهة عن اعمال الاب جان مصيريان اليسوعي في السويدية[3] ؛ ومن جهة اخرى عن الحفريات التي تجريها في انطاكية بعثة فرنسوية - اميركية[4] . فنحاول ، من ثم ، ان نرتب المعلومات الجديدة التي تفيدنا اياها كل هذه الابحاث في ما خصّ فنّ البناء ، وزخرفة البنايات المسيحية ،

(١ *Atti del III Congresso internazionale di Archeologia cristiana* [Studi di Antichità cristiana, Pontif. Ist. di arch. crist., VIII] 1934 ; pp. 459-476 (R. Mouterde), 477-482 (J. Lassus), 483-496 (Clark Hopkins).

(٢ J. Mattern, *A travers les Villes mortes de Haute Syrie* [*Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, XVII. 1]. Gr. in-8°. 176 pp., 48 pl., 36 fig., Beyrouth, Imprimerie catholique, 1933. Prix hors de Syrie : 60 fr.

(٣ *Comptes-rendus* de l'Académie des inscriptions, 1933, pp. 343-348

(٤ J. Lassus, *Un cimetière au bord de l'Oronte... La Mosaïque de Yakto* [Extr. de *Antioch-on-the-Orontes*, I], 1934.

واصول الفن الاسلامي .

المواقع الاثرية ، وفن البناء

ان الآثار المسيحية في سورية نعرفها خاصة بفضل كتابات واوصاف ملكيور دي ڤوگوي ، واوصاف البعثات الاميركية التي ادارها ه. ج. بتلر من السنة ١٨٩٩-١٩٠٤ . وقد دُوّنت نتائج هذه الاعمال المهمة في كتاب جديد دُعي « كنائس سورية القديمة »[1] . وفيه درس بنائي دقيق لمائتي كنيسة معروفة ، ولما فيها من زخارف ، مع لائحة باسماء القرى السورية العديدة التي لا يزال فيها اطلال مهمة من آثار الفن المسيحي . وهناك عدد آخر من المراكز المسيحية ذكرها الاب ماترن ودرس بعضها في كتابه المذكور كما انه نشر فيه دروساً جديدة ورسوماً لاشهر البنايات التي عرض لها سابقاه ڤوگوي وبتلر ، وقد زاد عليهما رسوم المواقع مأخوذة بالطيارة ولا تخفى اهميتها في تخطيط تلك الآثار كما في رسم جرادة ، ورويحة (انظر الرسم ١) وسرجيلية ، والبارة ، وقصر البنات ، وقلعة سمعان ؛ واضاف الى وصف هذه الاطلال معلومات من التاريخ الديني والمدني تدبّ الحياة في هذه الآثار الماثلة التي لم توفق ، قبل اليوم ، الى من يظهرها بهذه الدقة والاناقة والسهولة التي ترضي الخاصة والعامة . ونحن نأخذ عن هذا الكتاب بعض التصاوير للدلالة على ما اختصت به تلك البنايات من مظهر وزخرف . ننشر اولاً منظراً بالطيارة لمدينة رويحة القديمة (الرسم ١) في جبل الزاوية شمالي معرّة النعمان . وقد يتحقق المطالع كيف تقوم الصورة بالطيارة ، بعض الاحيان ، مقام افضل تصميم يخطّه ابرع مهندس . ثم ننشر في الرسم الثالث واجهة كنيسة بقيرحه ، بين حلب وانطاكية ، ولا تزال تزيّن في الناظر بارتفاعها نحو السماء في اعلى تلك الخرائب . وفوق هذه الواجهة (الرسم الثاني) منظر لداخل الكنيسة الشائقة التي اقيمت على اسم القديس سمعان

(١) H. G. Butler, *Early Churches in Syria*, ed. by. E. Baldwin Smith. Princeton, 1929.

العمودي ؛ واطلالها اشبه باطلال بعلبك . ويظهر فيها فنّ الزخرف السوري بكل ما اتصف به من مرونة وقوة تدقيق ، يزيده وقع النور بهاء وبروزاً . وهناك امثلة اخرى من هذا الفن في الرسم ٥ البادية فيه عتبة بعودة في جبل بريشا بين انطاكية وحلب ، وفي الرسم ٤ حيث صوّرنا سطحين من اعمدة كنيسة البارة ، وقد كنا اول من عرّفها الى عالم العلم . وفيهما حيوانات قيدتها اغصان الكرمة . وهذه الطريقة من الزخرف خاصة بالفن السوري ، وقد انتقلت منه فأثرت في الفن المسيحي في رافينة ، وفي الفنّ الاموي في الاندلس . ويرى المطالع في اللوحة الرابعة مثالاً للمنازل الخاصة (الرسم ٦) وللآثار المدفنية (الرسم ٧) يمثل الرسم ٦ منزلاً ذا كشك في طابقه الاعلى ، والرسم ٧ قبراً على شكل هرم ، ولا تزال آثار الاول ظاهرة في كفرنابو ، والثاني في دانا . ولا شك في ان هذه الصور تفتح امام الكثيرين من قرائنا الكرام عالماً جديداً شائقاً . وهو عالم غير بعيد عنهم لانهم يتمكنون من زيارة الآثار بسهولة ، اذا ما سافروا من حمص الى حلب بالسيارة او من حلب الى انطاكية ؛ واكثرها لا يبعد عن الجادة فوق ساعة للماشي .

ومما يجدر بنا ذكره كتاب نشره سپن وگوير درسا فيه درساً دقيقاً اطلال الرصافة ، ذاك المزار القديم الذي كان يؤمه المسيحيون زرافات لزيارة قبر القديس سرج او سركيس[1] . وهناك حفريات كشفت صدفةً كنيستين ملكيتين في تدمر ، وكنيسة مدفنية مع صحن كنيسة منقوش بالفسيفسا في حمص . على ان اعمال الحفر والكشف المهمة جرت خاصةً في السويدية وفي دورا .

اما في جهات السويدية فان الاب مصيريان كشف ، في الجبل الاسود ، اطلال سورب توماس ، وهي كنيسة جيورجية قديمة انتقلت الى ايدي الارمن وزيّنت بزخارف بديعة ترقى بالاثر الى القرن الحادي عشر . ثم انصرف الى العمل في اطلال كنيسة القديس سمعان العمودي الشاب الذي عاش بعد سيّه وشقيقه القديس سمعان العمودي الاول بنحو ثمانين سنة . وقد اقتدى

(١) H. Spanu u. S. Guyer, *Rusafa, Die Wallfahrtstadt des heil. Sergius*, Berlin, 1926.

به في حياته وتقشفاته كلها . فكان ان مكرميه بنوا كنيسة على مثال ذاك الاثر البديع الماثل في «قلعة سمعان» : فانشأوا بناء مثمناً حول العمود الذي عاش عليه القديس ، واعتبروه نقطة متوسطة يتّجه منها الى الجهات الاربع اربع كنائس ترسم صليباً عظيماً . وهكذا فان معبد القديس سمعان العمودي الشاب الذي اكتشفه الاب لامنس من نحو اربعين سنة[1] بدأ يعرفه عالم الآثار القديمة فيدرسه بطريقة مرتبة . وهو يفيدنا طرقاً جديدة في البناء والزخرف بين الآثار السورية المبنية في القرن السادس.

وأهم من هذا الاكتشاف عائدةً على تاريخ الفن ، اكتشاف الكنيسة المسيحية الواقية الى السنة ٢٥٦[2] وبالتالي المطمورة لكثير من الديامس القديمة في رومة . فهي اذاً تسبق بخمسة وسبعين عاماً عهد السلام الذي اقرّه الامبراطور قسطنطين للنصرانية ، فبدأ المسيحيون بفضله يقومون علناً ببناء كنائسهم . وهي تفيد ما كان للنصرانية في ما بين النهرين من انتشار واسع وتأثير عميق ، وتؤيد ما يعلمنا التاريخ عن تلك البقعة وعن ملوكها من اسرة أبجر وعن نصرانيتهم منذ اواخر القرن الثاني للمسيح . وقد وُجد على جدران هذه الكنيسة تصاوير تمثل آدم وحواء ، وداود وجُليات ، والراعي الصالح ، وشفاء المخلع ، والقديس بطرس ماشياً على الماء في العاصفة ، والسامرية على بئر يعقوب ، والنساء القديسات في قبر المسيح . ولا يخفى ان هذه الموضوعات مثلتها ايضاً في اكثرها آثار فنانّي الغرب . وان كانوا نظروا اليها على طريقة اخرى . كان الايمان واحداً وبالتالي الموضوعات واحدة كذلك ، في رومية وفي اقاصي سورية . ولكن في كلتا المنطقتين كان الفنانون المسيحيون الاولون يستعملون موادّ الفن المدني في زمانهم وبيئتهم . فيستخدمون في تمثيلهم الحوادث الانجيلية او الكتابية موادّ الفن

(١ Lammens, *Promenades dans l'Amanus* [*Les Missions belges de la C^ie de Jésus*, 1905, p. 53].

(٢ راجع في درس هذه الكنيسة ، فضلاً عن البحث الذي تُلي في مؤتمر رافينة، ما نُشر في *Excavations at Dura-Europos, Fifth Season of Work*, pp. 238-248, Cl. Hopkins et P. V. C. Baur.

العادية وعاداته المتبعة . وهكذا نرى ان مثال الراعي الصالح مشترك بين تصاوير المسيح وتصاوير الشاعر الفيلسوف اورفي ، وهو ظاهر في دورا ظهوره في رومة بسبب شهرته في المذاهب الفنية . ولا يمكن ان نعتقد اليوم ما كنا نعتقده في الماضي ، اذ لم يكن لدينا من مظاهر الفن المسيحي الاول الا تصاوير الديماس وحدها ، من ان هذا الفن المسيحي نشأ كله في رومية ثم انتشر منها الى اطراف العالم . لقد نشأ منذ العهد الاول فنّ مسيحي غربي روماني في اكثره . كما انه نشأ فنّ شرقي مسيحي كان فيه لسورية ، من دون شك ، مراد وعناصر عديدة خاصة منها « رغبة في التفتيش عن الحقيقة ، وميل الى التمثيل الحي ، يتعاكسان والطريقة الرمزية الغامضة التي كان يتصف بها التصوير والنحت الغربيان في اول امرهما . »[1]

الزخارف وفن الايقونات ، والفسيفساء

من درس اصل المصلوب ، اي تمثيل المسيح على الصليب ، لا يلبث ان يتضح لديه دور سورية وفلسطين في نشأة فن الايقونات . وقد سبق المشرق فنشر بحثاً في هذا الموضوع (١٩٠٦) . لم يكن يجوز المؤمنون في اول عهدهم على تمثيل المسيح مصلوباً ، انما كانوا يكتفون فقط بتصوير آلة الآلام اي خشبة الصليب ، او الصلبان الثلاثة ، دون ان يصوّروا عليها اجسام المعذّبين . ثم اخذوا يتقدّمون شيئاً فشيئاً فمثلوا اولاً المسيح لابساً ثوباً طويلاً ، ثم عرياناً . وان لنا في متحف دمشق اثراً نفيساً يرقى بلا شك الى عصر هذا التطور الاولي ، عهد لم يكن للفنانين الا القليل من الاختبار فكانوا لا يزالون على شيء من الاضطراب . وقد نشرنا بموافقة امين المتحف المذكور الامير جعفر عبد القادر ، صورة هذا الاثر ، وهو يمثل ، على تأويل الاب روتوفال ، تمجيد المسيح مصلوباً بظهور ملكين يحملان اكليلاً[2] . وهناك تأويل آخر للاثر معقول ايضاً وان يمكن في نظرنا

(١ J. de Jerphanion, s. j., *Bulletin d'Archéologie chrétienne, III* (= *Orientalia*, XXVIII, 2, 1932), p. 296.

(٢ *Atti del III Congresso...*, pp. 465 sq., fig. 8.

اقل امكاناً ، وهو ان يكون الفنان قد اراد تمجيد احد القديسين العموديين . ولا يخفى ما كان من اكرام الشعب لاوليا. الله هؤلا. منذ القدم ، وما كان من رغبته في تمثيل صورهم . ونحن نعرف انه كان هناك تماثيل صغيرة وايقونات تمثّل القديس سمعان العمودي القديم حتى في عهد حياته ، وكان يحملها مهاجرو السوريين الى رومة ويعرضونها في مدخل حوانيتهم . فيكون ان هذه التماثيل والايقونات الصغيرة نشأت اولًا في سورية في سبيل تصوير قديس سوري وانتشرت منها الى رومة . وقد جمع مؤخرًا الاستاذ جان لاسوس امثلة جديدة لهذه التصاوير القديمة ، ودرسها في نشرة المعهد الفرنسوي الدمشقي .[1]

ولنذكر اخيرًا ، خاتمين الدرس عن مظاهر الفنّ المسيحي في بلادنا ، اكتشافين عصريّين يهمّان تاريخ الليتورجيات . اما الاول فهو انه وجد في بنّاوي ، في شمالي سورية ، منبر اسقفي من الحجر وعلى ظهره كتابة نافرة باللغة السريانية ترقى الى نحو السنة ٥٠٠ (الرسم ٨)[2] .

واما الثاني فهو انه اكتُشف في السويداء (جبل الدروز) قطعة من الفسيفساء في الكنيسة الملكية القديمة تمثّل شخصاً واقفاً ذا لحية ، يحمل في يده اليمنى شمعةً في شمعدانها[3] . وهو شماس انجيلي يلبس الاولاريون اي قطعة من القماش الابيض طويلة يحدّها خطّ اسود منحدر من الكتف الشمالية حتى الركبة . وهو اقدم مثال معروف لهذا الثوب الطقسي الذي ذُكر منذ القرن الرابع في مجمع اللاذقية .[4]

اما في انطاكية ، فان لم تكن الحفريات التي تتتابع منذ ثلاث سنوات قد اكتشفت كنائس قديمة ، فقد اطلعتنا على فسيفساء في ياكتو قرب دفنة المدعوة

(١ *Bulletin d'études orientales, Institut français de Damas*, t. II, pp. 67-82, 5 pl.

(٢ Abbé J. B. Chabot, *Syria*, X, 1929, pp. 252 sq.

(٣ Dunand, *Syria*, VII, 1926, pp. 333 sq. ; Parrot, *Rev. biblique*, 1934, pp. 97 sq. الطلب خاصة

(٤ G. de Jerphanion, *Orientalia Christiana*, XXXIV, 2, 1934, pp. 192 sq.

اليوم « الحربية » نشرها الاستاذ جان لاسوس في المجلد الاول لنتائج الحفريات المسمّى *Antioch - on - the - Orontes* ، وهي تمثل الحياة في انطاكية ، تلك المدينة العظمى ، في العصر المسيحي (القرن الخامس والسادس) . وعلى اطارها صور لاشهر بنايات المدينة ، ابتداء من ينابيع دفنة واتجاهاً بدقة نحو نهر العاصي والقصر الملكي . وفي احد المشاهد المحفوظة صورة الكنيسة الذهبية المشهورة (*Dominicum aureum*) التي شيّدها قسطنطين الكبير . ويرى الناظر في ذلك المشهد رجلاً واقفاً وقوف المصلي امام بناية ساطعة البياض تنتهي بخطوط منحنية لا يمكن ان تكون لغير قبة . وسواء أمثّل الفنان قصور السراة ، او التماثيل على قواعدها العالية ، او الحوانيت الى جانبي الشارع ، او المكارين يسوقون دوابّهم المحمّلة ، او باعة الزيت المنتقلين ، او الحمالين وعلى ظهورهم الاعباء الثقيلة المربوطة بالحبال ، ففي خطوطه دقة خاصة بالفن المسيحي . وان هذه المشاهد المأخوذة لا تزال مألوفة في عصرنا حيث نرى الاشخاص انفسهم يجولون في اسواق مدننا .

٣ً اصول الفن الاسلامي

ظهر مؤخرًا كتاب نفيس في اصول الفنّ الاسلامي . هو كتاب الاستاذ كريسويل المعنون « فن العمارة الاسلامية الاولى : عهد الامويين »[1] والذي اتانا بنور ساطع على هذه المسألة التي كانت لا تزال غامضة في نظر الكثير من العلماء .

فاصبحوا يتفقون اليوم على ان لا يعنوا « بالفن العربي » ذاك الفن الذي ازدهر في سورية ، ومصر ، والاندلس ، ومرّاكش ، منذ القرن السابع للمسيح . فان العرب الذين اتوا من منطقة فقيرة متأخرة لم يكن لهم ثقافة خاصة متقدّمة . « ولم يستحق هؤلاء الغزاة ذاك الاعجاب الذي اولاهم اياه البعض في بلاد الغرب ، مدفوعين احياناً بروح الرغبة في الشيء الغريب ، واحياناً

(١) A. G. Creswell, *Early Muslim Architecture*, part. I, *Umayyads* 622-650. In-folio, XXII, 414 pp., 80 pl., 191 fig. Oxford 1931.

بسبب الناس استفاد منه العرب. أو لم يبالغ البعض حتى انهم اخذوا يتكلمون عن « الفن العربي »، وهو تعبير لا معنى له . لقد كان هناك فتح عربي . وهذا وحده لحادث عجيب ، وهناك ادب عربي قام به مسلمون مثقفون متضلعون من لغة القرآن . ولكن يبقى علينا ان نفتش عن اصول كبار الكتبة فنجد ان القليلين منهم كانوا عرباً . » . . . و« كان من فضل بلاد فارس انها ثقفت المسلمين ، كما يقول ابن خلدون . »[1]

ليس من تولّد ذاتي في محيط الفنون الرفيعة ، كما انه ليس من تولّد ذاتي في عالم الحيويات . وهكذا فقد نشأ الفن الاسلامي كما نشأ الفن المسيحي بفضل تطوّر التقليد الفني السابق وتطبيقه على الحياة الجديدة . لقد نما اولاً بتأثير الخلفاء الامويين فتأثر بمظاهر الفن اليوناني كما كان باقياً في سورية المسيحية ، وبمظاهر الفن البيزنطي ، وبالفن الشرقي القديم الباقية مظاهره في ما بين النهرين وفي بلاد فارس . ولا يخفى ان تصميمات البنايات الاولى التي حلت امام العرب محلّ المساجد القديمة قد اتخذت من تصميمات الكنائس الملكية المسيحية ذات الاسواق المتوازية . وكل هذه البنايات مسقوفة بسقوف عادية ، لا قبب عليها . وهي تستعمل ، على عهد الامويين ، في جدرانها الحجر المنحوت المركّز بعضه على بعض دون كلس . كما كانت تستعمل ذلك البنايات المسيحية في القرن الرابع الى السادس . ولم تظهر القبة والعقود في الفن الاسلامي الا بعد ان انتقل العباسيون بالخلافة الى بغداد فاستعملها البناؤون كما استعملوا في بنائهم اللبن والكلس . ولنلاحظ ان ما قلّد به الامويون الفن القديم لم يكن تقليداً اعمى . فان علماء العصر يرون في الجامع الاموي الدمشقي اكثر من تحويل بسيط من كنيسة الى جامع . لقد بناه كله الوليد الاول . فبدا « اثراً مبتكراً أُخذت فيه واجهة احد القصور البيزنطية وطبّق وراءها تصميم بناء ذي ثلاثة اسواق متوازية »[2] وهناك « قبة الصخرة » في اورشليم ، وهي تستوحي بتصرّف من

(١ G. Wiet, *Précis d'histoire de l'Egypte*, t. II, *L'Egypte byzantine et musulmane*, 1932, p. 139.

(٢ A. Gabriel, *Syria*, XIV, 1933, p. 213

تصميم كاتدرائية بُصرى.

اما موادّ هذه الجوامع الجديدة فقد اتخذت كذلك من مواد الهندسة السورية . « فالمحراب المحفور في جدار الجامع ، الذي يدلّ المصلّين على القبلة ليس في اصله الا الحنيّة الظاهرة وراء الهيكل في الكنائس . وكذلك المنبر الذي يلقي من فوقه الخطيب خطبته كل جمعة في صلاة الظهر ، يمثل في اصله منبر النبي . ولكن عندما احتيج الى منبر يوافق تصميم الجوامع الجديد في سعته ، تحوّر مظهره وقُلّدت فيه منابر الكاتدرائيات المرتفعة في الحنايا . . . اما المئذنة الاسلامية الاولى فقد قُلّدت فيها قِبَب الابراس السورية . . . وها ان اقدم مئذنة في جامع دمشق ، وهي « منارة العروس » ، كانت في اصلها برجاً مربّعاً قبل الارتفاع مبنيًا بالحجارة المنحوتة . . . وهناك كثير من المآذن الشرقية احتفظت بهذا الشكل ولم تتطور الا شيئاً فشيئاً بتأثير بلاد ما بين النهرين وفارس . »[1]

اما زخارف الجوامع الاولى فهي متفرّعة رأساً عن الزخارف اليونانية والبيزنطية ، كما ظهرت في سورية . وكان تمثيل الاشخاص البشرية قبيل الهجرة وفي هذا العصر ، قد تلاشى من الزخارف ، فانتصر عليه الزخرف النباتي ثم الزخرف الهندسي ؛ وهناك الفسيفساء تزين الجدران والبلاط . ولم يتجاوز مزخرفو البنايات الاسلامية هذه الطرق والاساليب . وقد رُفع الشيد مؤخرًا عن الفسيفساء التي تزين الرواق الغربي في جامع الوليد . فظهر فيها ان الفنانين ، الذين كانوا نصارى على الارجح ، صوّروا سلسلة من الاكوانخ والبنايات الرقيعة القائمة على ضفتي النهر تفصلها الاشجار الباسقة كانهم يصوّرون مدينة شائقة من مدن الحلم (الرسم ٩) بالوان عجيبة متراوحة من الاخضر الى الاكدر الى الاصفر الى الذهب الباهت تشوبه مسحات من الابيض الناصع والازرق والبنفسجي . ويزيده وقعاً خفيفاً ما يؤثر في العين من تمازج الاخضر بالذهبي[2] .

(١) H. Terrasse, *L'art hispano-Mauresque des origines au XIII^e s.* Paris, 1932, p. 10-11.

(٢) الكتاب نفسه ، ص ٢٥

واننا نرى الفنّ نفسه في فيفاء « قبة الصخرة » في اورشليم . وهناك زخارف منحوتة تبدو فيها النزعة الشرقية بجلاء اوضح ، وهي الزخارف النباتية التي تزيّن حنايا قصر المشتى الذي بناه الوليد الثاني في البادية شرقي الاردن ، في النصف الاول من القرن الثامن[1] . وها ان مؤرخي الفن كالاستاذ كريسويل ، يؤيدون ما ذهب اليه العلماء ، فينسبون هذه الزخارف الحجرية الجميلة الى اوائل الفنّ الاسلامي .

ولا يخفى ما هناك من اللذة والفائدة في التفتيش عن تأثيرات الفن الاموي في العالم الاسلامي . وسيكون قسم من هذا العمل ، دون شك ، من نصيب العلماء الذين يرودون مناطق سورية المجاورة كالاستاذين غبريال وسوفاجه[2] . ويجدر بنا ان نشير ، منذ الآن ، الى ان هذا الفن الاسلامي الاول قد قطع مضيق جبل طارق مع القائد المشهور ، فازدهر في اسبانية بفضل الدولة الاموية التي قامت فيها نحو مائتي سنة ٧٥٠-٩١٢ . ومن السهل ان يميز الدارس في جامع قرطبة القديم العناصر السورية . فيكرن « ان الفن الاموي في الاندلس غصن من الفن الاموي في سورية . »[3]

(١) H. Lammens, *La Syrie, précis historique* I, 1921, pp. 96-98

(٢) *Syria*, XIV, 1933, pp. 86-87

(٣) H. Terrasse, op. cit., p. 69